

تمهيد

بقلم عبد الرؤوف بن عبد الرحمن حجي

هذا الكتاب، وإن لم يصدر إلا بعد مرور ستين سنة على رحيل سعيد حجي إلى دار البقاء، يرمي قبل كل شيء إلى إحياء ذكرى « فقيه المغرب والشباب » والمزيد من التعريف بنشاطه السياسي والأدبي لدى الجيل الحاضر. وقد يحق فعلا لأبناء هذا الجيل الذين لم يتح لهم أن يخوضوا معركة الكفاح من أجل استرجاع كرامة الأمة المغربية المهضومة خلال عهد الحماية البائد، أن يتساءلوا من هو سعيد حجي هذا يا ترى، وما هو الغرض من هذا الكتاب الذي يعود بنا إلى عصر مضى وأصبح نسيا منسيا حتى لدى من تعهدوا بين أصدقائه ورفقائه أن يحتفظوا له « بذكرى متجددة في أذهانهم، ويذكرونه في كل مناسبة بتفكيره ونشاطه وأعماله وأقواله » .

إلا أنه من الواجب أن نستثني الأستاذ الجليل أبا بكر القادري الذي يرجع له الفضل في نشر ما كان يتوفر عليه من تراث الفقيه، وإغناء الساحة الأدبية بدراسة مستفيضة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي، ونضيف إلى هذا الاستثناء مجموعة القصائد والكلمات التي تفضل بإلقائها بمناسبة تأبينه أو في رثائه على العموم من عاشره عن كذب وكانوا يرون فيه أحد قادة الصحافة الحرة الذين وهبوا حياتهم للنضال من أجل حق بلادهم، وكذلك بعض المقالات والدراسات التي نشرت بين الفينة والفينة على أعمدة الصحف الوطنية.

ما عدا هذا، فقد توالى الأعوام، وأخرست الأقلام؛ فالغرض إذن من هذا الكتاب هو من جهة إيقاظ الذاكرة الجماعية التي أصبحت تتلاشى مع مر السنين وتعاقب الأحقاب، ومن

جهة أخرى تمكين شباب العصر من التعرف على ما قام به السلف من صالح الأعمال وأسدوا لأمتهم من جليل الخدمات.

فإن هذا الكتاب يأتي بنبذة عن حياة الفقيه ويتناول في جزئه الأول بعض كتاباته الأدبية ومنتخبات من إنتاجه الصحفي، ويعرض في جزئه الثاني معظم ما قيل وكتب في شأنه بعد رحيله. والهدف من جمع الجزأين ونشرهما معا في كتاب واحد هو تسهيل سبل البحث ومساهمة من أسرة الفقيه لتخليد ذكرى أحد أبنائها البررة الذي كان يعد من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية بالمغرب وأول من سخر قلمه ولسانه للدفاع عن الحريات العامة وحرية الصحافة على وجه الخصوص، وكرس مجهوداته لإثبات دعائم النهضة الفكرية ونشر الدعوة الإصلاحية ببلادنا.

وسيالاحظ القارئ الكريم في كلا الجزأين كيف تكونت شخصية سعيد وكيف أصبح نتيجة لطائفة من العلل التي ساهمت في تأليف مزاجه؛ وما هذا الكتاب إلا وسيلة لتمهيد الطريق للبحث عن هذه العلل والكشف عما بينها من صلة ونسبة. وسيبدو له جليا أن سعيد حجي ثمرة من ثمرات عصره عمل في إنضاجها تأثير البيئة العائلية في تكوينه الخلقي والوطني، ثم الوضع السياسي الذي كان يعيش فيه المغرب، والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كان يشاهدها ويستقصي أمرها في كل أونة وحين.

فالكتاب الذي تمهد له بهذه السطور معروض ليكون أداة بين يدي الباحث الذي يريد أن يدرس العلل المادية والمعنوية التي اشتركت في تكوين الرجل وتشيء نفسه، وإلا فقد يستحيل عليه أن يهتدى من أمره إلى شيء، وبالأحرى أن يكتشف ما يكنه في أغوار نفسه من إحساسات وخوارج، وعواطف وعواصف.